محمد صلى الله عليه وسلم وانه ليس ببدع ان يؤتيه الله مثل ما اوتي اسلافه وفي ان عطى الملك في آل ابرهيم ملك
يوسف وداود وسليمن عليهم الصلاة والسلام وقيل استكثروا نساءه فقيل لهم كيف استكثرتم لداود التسع وقد
كان لداود مائة ولسليمان ثلثمائة مهيرة وسبعمائة سرية فمنهم من اليهود من آمن به اي بما ذكر من حديث آل ابرهيم
ومنهم من صد عنه وانكر مع علمه بصحته او من اليهود من آمن برسول الله ومنهم من انكر نبوته او من آل ابرهيم من آمن
بابرهيم ومنهم من كفر فهم متبدد وكثير منهم ناسعون بدلناهم جلودا غيرها ابدلناهم اياها فان قلت
كيف تعذب مكان الجلود العاصية جلود لم تعص قلت العذاب للجملة الحساسة وهي التي عصت كل يوم سبع مرات وعن الحسن
سبعين مرة يبدلون جلودا بيضا كالقراطيس ليذوقوا العذاب ليدوم لهم ذوقه ولا ينقطع كقولك للعزيز اعزك الله
اي زادك فيه عزيزا لا يمتنع عليه شيء مما يريده بالمجرمين حكيما لا يعذب الا بعدل من يستحقه ظليلا صفة مشتقة من لفظ
الظل لتاكيد معناه كما يقال ليل اليل ويوم ايوم وما اشبه ذلك وهو ما كان فينانا لا جوب فيه ودائما لا تنسخه
الشمس وسجسجا لا حر فيه ولا برد وليس ذلك الا ظل الجنة رزقنا الله بتوفيقه لما يزلف اليه التفيؤ تحت ذلك
الظل وفي قراءة عبد الله سيدخلهم بالياء ان تؤدوا الامانات الخطاب عام لكل احد في كل امانة وقيل نزلت
في عثمان بن طلحة بن عبد الدار وكان سادن الكعبة وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين دخل مكة يوم الفتح اغلق عثمان باب
الكعبة وصعد السطح وابى ان يدفع المفتاح اليه وقال لو علمت انه رسول الله لم امنعه فلوى علي بن ابي طالب رضي الله عنه
يده واخذه منه وفتح ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلى ركعتين فلما خرج ساله العباس ان يعطيه المفتاح ويجمع له السقاية
والسدانة فنزلت فامر عليا ان يرد الى عثمان ويعتذر اليه فقال عثمان لعلي اكرهت وآذيت ثم جئت ترفق
فقال لقد انزل الله في شانك قرآنا وقرأ عليه الآية فقال عثمان اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان
محمدا رسول الله فهبط جبريل واخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان السدانة في اولاد عثمان ابدا وقيل هو خطاب
للولاة باداء الامانات والحكم بالعدل وقرئ الامانة على التوحيد نعما يعظكم به ما اما ان تكون منصوبة موصوفة
بيعظكم به واما ان تكون مرفوعة موصولة به كانه قيل نعم شيئا يعظكم به او نعم الشيء الذي يعظكم به والمخصوص بالمدح
محذوف اي نعما يعظكم به ذلك وهو المامور به من اداء الامانات والعدل في الحكم وقرئ نعما بفتح النون لما امر
الولاة باداء الامانات الى اهلها وان يحكموا بالعدل امر الناس ان يطيعوهم وينزلوا على قضاياهم والمراد
باولي الامر منكم امراء الحق لان امراء الجور الله ورسوله بريئان منهم فلا يعطفون على الله ورسوله في وجوب الطاعة لهم وانما
يجمع بين الله ورسوله والامراء الموافقين لهما في ايثار العدل واختيار الحق والامر بهما والنهي عن اضدادهما كالخلفاء الراشدين
ومن تبعهم باحسان وكان اول الخلفاء يقول اطيعوني ما عدلت فيكم فان خالفت فلا طاعة لي عليكم وعن ابي حازم ان مسلمة
بن عبد الملك قال له الستم امرتم بطاعتنا في قوله واولي الامر منكم قال اليس قد نزعت عنكم اذا خالفتم الحق بقوله فان
تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول وقيل هم امراء السرايا وعن النبي صلى الله عليه وسلم من اطاعني فقد اطاع الله ومن
عصاني فقد عصى الله ومن يطع اميري فقد اطاعني ومن يعص اميري فقد عصاني وقيل هم العلماء الديّنون الذين يعلمون
الناس ويامرونهم بالمعروف وينهونهم عن المنكر فان تنازعتم فان اختلفتم انتم واولو الامر منكم في شيء من امور
الدين فردوه الى الله والرسول اي ارجعوا فيه الى الكتاب والسنة وكيف يلزم طاعة امراء الجور وقد جنح
الله الامر بطاعة اولي الامر بما لا يبقى معه شك وهو ان امرهم اولا باداء الامانات وبالعدل في الحكم وامرهم آخرا
بالرجوع الى الكتاب والسنة فيما اشكل وامراء الجور لا يؤدون امانة ولا يحكمون بعدل ولا يردون شيئا الى الكتاب ولا
الى السنة انما يتبعون شهواتهم حيث ذهبت بهم فهم منسلخون عن صفات الذين هم اولو الامر عند الله ورسوله واحق
اسمائهم اللصوص المتغلبة ذلك اشارة الى الرد الى الكتاب والسنة خير لكم واصلح واحسن تاويلا واحسن

عاقبة

عاقبة وقيل احسن تاويلا من تاويلكم انتم روي ان بشرا المنافق خاصم يهوديا فدعاه اليهودي الى النبي صلى الله عليه
وسلم ودعاه المنافق الى كعب بن الاشرف ثم انهما احتكما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقضى لليهودي فلم يرض
المنافق وقال تعال نتحاكم الى عمر بن الخطاب فقال اليهودي لعمر قضى لنا رسول الله فلم يرض بقضائه فقال للمنافق اكذلك
قال نعم فقال عمر مكانكما حتى اخرج اليكما فدخل عمر فاشتمل على سيفه ثم خرج فضرب به عنق المنافق حتى برد ثم قال
هكذا اقضي لمن لم يرض بقضاء الله ورسوله فنزلت وقال جبريل ان عمر فرق بين الحق والباطل فقال له رسول الله صلى الله
عليه وسلم انت الفاروق والطاغوت كعب بن الاشرف سماه الله طاغوتا لافراطه في الطغيان وعداوة رسول الله
او على التشبيه بالشيطان والتسمية باسمه او جعل اختيار التحاكم الى غير رسول الله على التحاكم اليه تحاكما
الى الشيطان بدليل قوله وقد امروا ان يكفروا به ويريد الشيطان ان يضلهم وقرئ انزل على
البناء للفاعل وقرأ عباس بن الفضل ان يكفروا بهن ذهابا بالطاغوت الى الجمع كقوله اولياؤهم الطاغوت
يخرجونهم وقرأ الحسن تعالوا بضم اللام على انه حذف اللام من تعاليت تخفيفا كما قالوا ما باليت به بالة واصلها
بالية كعافية كما قال الكسائي في آية ان اصلها آيية فاعلة فحذفت اللام فلما حذفت وقعت واو الجمع بعد
اللام من تعال فضمت فصار تعالوا نحو تقدموا ومنه قول اهل مكة تعالي بكسر اللام للمراة وفي شعر الحمداني تعالي اقاسمك
الهموم تعالي والوجه فتح اللام فكيف يكون حالهم وكيف يصنعون يعني انهم يعجزون عند ذلك فلا يصدرون امرا
ولا يوردونه اذا اصابتهم مصيبة بما قدمت ايديهم من التحاكم الى غيرك واتهامهم لك في الحكم ثم جاؤوك حين
يصابون فيعتذرون اليك ويحلفون ما اردنا بتحاكمنا الى غيرك الا احسانا لا اساءة وتوفيقا بين الخصمين
ولم نرد مخالفة لك ولا تسخطا لحكمك ففرج عنا بدعائك وهذا وعيد لهم على فعلهم وانهم سيندمون عليه حين لا
ينفعهم الندم ولا يغني عنهم الاعتذار عند حلول باس الله وقيل جاء اولياء المنافق يطلبون بدمه وقد اهدره الله
فقالوا ما اردنا بالتحاكم الى عمر الا ان يحسن الى صاحبنا بحكومة العدل والتوفيق بينه وبين خصمه وما خطر ببالنا
انه يحكم له بما حكم به فاعرض عنهم لا تعاقبهم لمصلحة في استبقائهم ولا تزد على كفهم بالموعظة والنصيحة عما هم
عليه وقل لهم في انفسهم قولا بليغا بالغ في وعظهم بالتخويف والانذار فان قلت بم تعلق قوله في انفسهم
قلت بقوله بليغا اي قل لهم قولا بليغا في انفسهم مؤثرا في قلوبهم يغتمون به اغتماما ويستشعرون منه الخوف
استشعارا وهو التوعد بالقتل والاستئصال ان نجم منهم النفاق واطلع قرنه واخبرهم ان ما في نفوسهم
من الدغل والنفاق معلوم عند الله وانه لا فرق بينكم وبين المشركين وما هذه المكافة الا لاظهاركم الايمان
واسراركم الكفر واضماره فان فعلتم ما تكشفون به غطاءكم لم يبق الا السيف او يتعلق بقوله قل لهم اي قل لهم
في معنى انفسهم الخبيثة وقلوبهم المطوية على النفاق قولا بليغا وان الله يعلم ما في قلوبكم لا يخفى عليه فلا يغني عنكم
ابطانه فاصلحوا انفسكم وطهروا قلوبكم وداووها من مرض النفاق والا انزل الله بكم ما انزل بالمجاهرين
بالشرك من انتقامه وشرا من ذلك واغلظ او قل لهم في انفسهم خاليا بهم ليس معهم غيرهم مسارا لهم بالنصيحة
لانها في السر انجع وفي الامحاض ادخل قولا بليغا يبلغ منهم ويؤثر فيهم وما ارسلنا من رسول
الا ليطاع باذن الله بسبب اذن الله في طاعته وبانه امر المبعوث اليهم ان يطيعوه ويتبعوه لانه مؤد
عن الله فطاعته طاعة الله ومعصيته معصية الله ومن يطع الرسول فقد اطاع الله ويجوز ان يراد بتيسير الله
وتوفيقه في طاعته ولو انهم اذ ظلموا انفسهم بالتحاكم الى الطاغوت جاؤوك تائبين من النفاق متنصلين
عما ارتكبوا فاستغفروا الله من ذلك بالاخلاص وبالغوا في الاعتذار اليك من ايذائك برد قضائك حتى انتصبت
شفيعا لهم الى الله ومستغفرا واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا لعلموه توابا اي لتاب عليهم ولم يقل واستغفرت لهم وعدل

Copyright © King Saud University